

دور التسامح في تعزيز ثقافة التعايش السلمي دراسة تحليلية

د. أنس عباس غزوان

مكان العمل: جامعة بابل/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع

البريد الإلكتروني: anes.altayy@yahoo.com

الملخص.

يمثل الدين الإسلامي دين التوحيد الخالص الذي لا تشوبه أية شائبة في مبادئه وقواعده وأسسها التي قام عليها وهو في ذلك يقر بوحدة الجنس البشري وعلى أسس من العدالة والحرية والمساواة بينهم ، إلا أن ذلك لا يتم إلا بخلال اعتماد ثقافة التسامح من قبل أفراد المجتمع الواحد، لذلك جاء التأكيد على أنها نقطة محورية وضرورة لازمة لديمومة واستمرار ذلك البناء الاجتماعي.

وعليه جاء التأكيد الإلهي على ضرورة التمسك بهذه الفضيلة وتوظيفها عمليا من جانب الأفراد وفي كافة مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة، لما لها من أهمية كبيرة في تحقيق التعايش السلمي ، مسترشدين في ذلك بسيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأثره الكبير في ترسيخ هذا المبدأ نظريا وعمليا واثرا ذلك في نشر الدعوة الإلهية وتحقيق الوحدة الإسلامية على حد سواء وعلى أسس من المؤاخاة واحترام حقوق وحريات الآخرين في دينه ومذهبه ومعتقداته ، على هذا الأساس جاء البحث ليؤكد أن التسامح بوصفه ثقافة إسلامية سيعمل على تنمية وتثبيت حقيقة التعايش والوحدة في مجتمعاتنا.

الكلمات المفتاحية: التسامح ، الثقافة ، التعايش، التعايش السلمي

The Role of Tolerance in Promoting a Culture of Peaceful Coexistence: An Analytical Study in Religious Sociology.

Abstract.

The Islamic religion represents the religion of pure monotheism that has no blemishes in its principles, rules and foundations on which it is based, and in this it recognizes the unity of the human race and on the foundations of justice, freedom and equality between them, but this can only be done through the adoption of a culture of tolerance by members of the same society. Therefore, it was emphasized that it is a focal point and a necessary necessity for the continuity and continuity of that social structure.

Accordingly, the divine affirmation came on the necessity of adhering to this virtue and employing it practically by individuals and in all different areas of social life, because of its great importance in achieving peaceful coexistence. Theoretically and practically, and the impact of this in spreading the divine call and achieving Islamic unity alike and on the basis of fraternity and respect for the rights and freedoms of others in their religion, doctrine and belief, on this basis the research came to confirm that tolerance as an Islamic culture will work to develop and consolidate the reality of coexistence and unity in our societies.

Keywords: Tolerance, Culture, Coexistence, Peaceful Coexistence

المقدمة.

كما هو معروف أن الدين الإسلامي هو منهج الهي متكامل جاءت به الإرادة الحقة للباري عز وجل لأجل تحقيق سعادة الإنسان على الأرض، فوضعت أمامه كافة السبل كي يتسنى له الوصول لذلك الهدف ألا وهو السعادة، إن لبعثة الأنبياء والرسول كأمناء الأثر الأكبر في إرساء وتبيان هذه الأسس والقواعد والشروع لأجل توظيفها في مجتمعاتهم، فجاءت رسالاتهم لتؤكد على تربية الفرد في المجتمع في ضوء منظومة فكرية تقوم على أساس وحدانية المعبود جل جلاله والإيمان بالرسول دون استثناء وتحقيق أسس التضامن والتعاون والمؤاخاة بين أفراد المجتمع الواحد والتي تتطلب في أن تكون سلوكياتهم مستندة على صفات المروءة والمغفرة وكظم الغيظ وتقبل الآخر وكل ما يدعو إلى التسامح والتساهل فيما بينهم، فهذا الأمر يعني في حقيقته أن التسامح ما هو إلا مشروع الهي يختزل بداخله المبادئ الإسلامية كافة، فالدين الإسلامي في حقيقته ما هو إلا مشروع لنشر ثقافة لها أسس وقواعد دينية تقف بالسلب ضد مشروع(الأنا) وتحاول تجاوزه إلى مجال أوسع يبغي من خلاله تحقيق المصلحة العامة، فالتسامح صفة شاملة تتجاوز الاحتماء والتخفي وراء العنف في ضمير البشر، فلا يكون هناك مجال لأناس يفتنون الآخرين وبما يؤدي إلى الإحساس بالأمن والسلام والحرية والعدل وتضمير معها وربما تنتهي موضوعات تسييد العصبية وسياسات التحزب الدينية والطائفية والمذهبية والعرقية.

وبناءً على ذلك فإن قبول الآخر كمبدأ أكدت عليه الشريعة السمحاء ينهض بأجواء المحبة والوئام والاستنباط الفكري الوجدوي ويبعد الإنسان عن التحجر والتعصب، فهو يبعث على خلق منهجية عقلانية موضوعية تتناغم مع الخطاب الإلهي الداعي إلى نهضة البشر وتكاملهم وذلك من خلال وحدتهم معا تيمناً بقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم ، الآية : ٤

مشكلة الدراسة.

يشار إلى التسامح على أنه مبدأ الهي أصيل أكدت كل شرائع الديانات التي تنتمي في حقيقتها إلى السماء، فالتسامح ما هو إلا منظومة اجتماعية ذات أبعاد دينية جاءت لتنظيم العلاقات الإنسانية على أسس من الخير والعدالة والمساواة بين أبناء المجتمع الواحد، ويقوم قبل كل شيء على مبدأ الاعتراف بالآخر والقبول به ، وهو بذلك يدعو إلى ضرورة ضمان التعايش الإيجابي المشترك بين الأفراد جميعاً في جو من الإخاء والتضامن والتعاون بصرف النظر عن ما يعتقدون به دينياً واجتماعياً وسياسياً وبالتالي يمكن عده على أنه المساحة الواسعة التي تفتح الأفق أمام الأفراد لفهم وإدراك حقوقهم وحررياتهم تجاه بعضهم البعض الآخر مع الإيمان المطلق بوجود قيم الاختلاف والتنوع والتميز فيما بينهم. ليمثل التسامح نموذجاً لطبيعة الحياة الاجتماعية المستقرة والأمنة يجني ثمارها أبناء المجتمع الذي بدوره يصبح قدوة تحتذي بها والشعوب الأمم.

فرضية الدراسة.

تقوم هذه الدراسة على فرضية مفادها هو أن هناك علاقة ما بين التسامح والتعايش السلمي والوحدة الإسلامية، فعلى أساس وجود التسامح كمبدأ وثقافة على مستوى الفرد والمجتمع في آن واحد بتعاملاتهم وتصرفاتهم مع الآخرين سيؤدي ذلك حتماً إلى قبول الآخر وبكل ما يقوم به وخاصة في مجال العبادات والمعاملات فكلهما تتحقق لديه القناعة أن هناك حقاً له على الآخر وواجب عليه تجاهه وبحصول ذلك ستكون الفرصة متاحة لأجل تحقق الوحدة الإسلامية .

أهداف الدراسة.

- 1- تهدف الدراسة إلى تبيان مفهوم التسامح بمعنييه اللغوي والاصطلاحي .
- 2- تهدف الدراسة إلى التركيز على بيان حقيقة التسامح في القرآن الكريم وذلك من بذكر بعض صفات الآيات الدالة عليه وكذلك بيان الكيفية التي سار عليها النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في توظيف هذا المفهوم في سيرة حياته الكريمة، ومدى انعكاس ذلك في ترسيخ التسامح كثقافة مجتمعية
- 3- تهدف الدراسة إلى تبيان مفهوم التسامح كثقافة في تنمية أسس وقواعد التعايش السلمي في المجتمع الواحد وأثر ذلك في تحقيق الوحدة الاجتماعية بين أبنائه كلهم، مع التركيز على أثر رجال وعلماء الدين بوصفهم من أكثر الأفراد الذين تقع على عاتقهم مهمة إشاعة هذا المبدأ .

هيكلية الدراسة.

إلى جانب المقدمة، توزعت الدراسة على ثلاث مباحث، فالمبحث الأول تناول في دراسته إطاراً مفاهيمياً لمعنى التسامح وذلك بتعريف وبيان مضمونه لغةً واصطلاحاً. أما المبحث الثاني فقد تركزت دراسته على معرفة موقع التسامح في القرآن الكريم وفي سيرة النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بذكر بعض الدلالات والمواقف الدالة عليه والذي يمثل إطاراً مرجعياً لهذه الدراسة، أما المبحث الثالث والذي يمثل الإطار التنظيري الذي تضمن دراسة أثر ثقافة التسامح في تنمية التعايش في المجتمع الواحد وأثر ذلك في تحقيق الوحدة بين أبنائه.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

التسامح لغوياً، جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة(سمح)السماح والسماحة: الجود، سمح سماحة وسموحة وسماحا: جاد، ورجل سمح وامرأة سمحة .

وفي الحديث الشريف يقول الله عز وجل:(اسمحو لعبدي كأسماحه إلى عبادي) الاسماح : لغة في السماح، يقال: سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء؛ وقيل: إنما يقال في السخاء سمح، وأما اسمح فإنما يقال في المتابعة والانقياد؛ ويقال: أسمحت نفسه إذا انقادت، والصحيح الأول، وسمح لي فلان أي أعطاني، وسمح لي بذلك يسمح سماحة. والمسماحة: المساهلة. وتسامحوا: تساهلوا. وفي الحديث المشهور: (السماح رباح) أي المساهلة في الأشياء تريح صاحبها. ويقال أسمحت قرينته إذا ذل واستقام، وسمحت الناقة إذا انقادت فأسرعت وأسمحت قرونته وسماحت كذلك أي ذلت نفسه وتابعت. ويقال فلان سمح لميح وسمح لمح. وتقول العرب: عليك بالحق فإن فيه لمسماً أي متسعاً، وقالوا: إن فيه لمدوحة⁽¹⁾. وهذا يعني أن السماحة في تتضمن الجود، أي العطاء بلا حدود، وهي المساهلة واللين في الأشياء والمعاملات، دونما انتظار مقابل أو ثمن، أو حاجة إلى جزاء⁽²⁾

أما التسامح بالمعنى الاصطلاحي: وهو كلمة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية تقضي ببند التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريق مخالفة قد لا يوافق عليها المرء⁽³⁾، فهو بذلك موقف إيجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيداً عن الاحتراب والأقصاء وعلى أساس شرعية الآخر دينياً وسياسياً وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته⁽⁴⁾

وعرفه البعض بأنه: نوع من أنواع الإحساس إلى النفوس التي جبلت على حب من أحسن إليها، فهو بذلك يؤدي إلى المحبة والتآلف ونبذ العنف والتنافر، فهو بذلك القلب النابض لحياة طيبة ونفس زكية خالية من العنف والتطرف⁽⁵⁾، أي إنه موقف إيجابي وسلوك إنساني أصيل ينم عن الخصال والصفات الحميدة يقوم على أساس قبول الآخر في عقائده وأفكاره وكل ما يؤمن به بعيداً عن حالات العصبية والعنف وبما يضمن تحقيق الأمن والسلام في المجتمع الواحد.

يقول فولتير (وما هو التسامح إلا نتيجة ملازمة لكيونتنا البشرية، وأننا جميعاً من نتاج الضعف لكننا هشون وميالون للخطأ، لذا دعونا نسامح بعضنا وننتساح مع جنون بعضنا بشكل متبادل، وذلك هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة والمبدأ الأول لحقوق الإنسان كافة)⁽⁶⁾. إن التسامح كثقافة تعد من أكثر الموضوعات حضوراً في الوقت الحاضر، ولا ريب في أن الغرب كانوا سابقين في هذا المضمار، فقد تبنى الكثير من فلاسفتهم ومفكرتهم مبدأ التسامح وأكدوا عليه في بحوثهم ودراساتهم ولعل أبرز من تبنى مبدأ التسامح وأكد اعتناقه هو الإنكليزي(جون لوك) فقد كتب في هذا الخصوص رسالة أطلق عليها اسم(رسالة

دور التسامح في تعزيز ثقافة التعايش السلمي دراسة تحليلية د. أنس عباس غزوان

الخطاب والتحاوّر مع فرعون من جانب موسى وهارون (عليهما السلام) يجب أن يكون بالرفق واللين مع أن الله يعرف تجبره وطمعانه^(١٥) وأن الإسلام فيه دعوات عديدة إلى التسامح الديني والذي يتمثل بعدم إكراه الناس على الدخول في أي دين وعلى المتدين إبراز ميراث دينه وترغيب الناس في دخوله دون أي نوع من أنواع الإكراه كقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) البقرة: ٢٥٦^(١٦). الشريعة الإلهية غير مبتنية على الجبر، لا في أصولها ولا في فروعها، وإنما مقتضى الحكمة إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإيضاح الأحكام ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولئلا يكون للناس على الله حجة^(١٧) وتبقى الحرية منافية للبشر كي يختاروا ما يشاءون، بل ن هناك قول ينفي الإكراه في العقائد وإن الإنسان حر في إظهار ما يؤمن به (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس: ٩٩)^(١٨)، هذا الأمر يسري على أهل الكتاب من اليهود والنصارى (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) العنكبوت: ٤٦، أي لا تحاجوا أو لا تناظروا اليهود والنصارى إلا بالخصلة التي هي أحسن أي باللين والأناة^(١٩) لأجل إظهار الحق من غير لجاج وعناد، بالاتفاق على إظهار الحق دون استئثار العصية (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) وهم لا ينفع معهم الرفق واللين والتقرب في المطلوب، بل يتفقون حسن الجدل نوع منة وهوان للمجادل ويعتبرونه تمويهاً واحتيالاً (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) العنكبوت: ٤٦، والإيمان بالله وما انزل يقتضي الإيمان بكل ما أنزل ويقتضي التسليم لأوامره^(٢٠) فمعبودنا ومعبودكم واحد هو الله ومطيعون له خاصة، وفيه تعريض باتخاذهم أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وبكتبه ورسله فإن قالوا: باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا: حقاً لم تكذبوهم^(٢١) .

ومن صور التسامح الإلهي نجد أن هناك صورة عظيمة تتمثل بكرم الله جل وعلا للعبد المسيء والخطيئ، بأنه لا يتجاوز عن السيئات فحسب بل يبذلها حسنات في مقابل توبة العبد وقيامه بالعمل الصالح، قال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الفرقان: ٧٠، فالذي يتوب عن ذنوبه في الدنيا ويؤمن بالله ورسوله، وأطاع الله فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر، فهؤلاء يتجاوز الله عن سيئاتهم ويجعلها حسنات، فالعمل الصالح هو ما تستقر به التوبة وتكون نصحاً، فتتبدل نفوسهم وقد تطهرت بالتوبة فكل سيئة تتبدل حسنة، والله يبذل ذواتهم فيجعلها سعيدة خالية من قذارة الشقاء، وقد قال (ص): ما جلس قوم يذكرون الله إلا نادى بهم مناد من السماء قوموا فقد بدل الله سيئاتكم حسنات^(٢٢)، فسماحة الله جل وعلا نراها حتى مع مرتكبي الكبائر ومضيعي أعمارهم بالانهماك في المعاصي، فالقران يخاطب المذنبين بأسلوب عاطفي بليغ قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر: ٥٣، وهنا يتجسد مفهوم الرحمة بأجمل صورها، والسبب في هذا العطف وهذا القبول الواضح للتوبة واضح، وهو أن الله تعالى خلق عباده لكي رحمهم كما يظهر من قوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِينَ (118) إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمُ) هود: ١١٨—١١٩، فلماذا فتح الله باب التوبة على عباده ولو كانت ذنوبهم كالجبال الرواسي^(٢٣)..

ومن أوجه السماحة في الإسلام هو حسن المعاملة وإن بدت الإساءة من الآخر يقول الله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت: ٣٤ فالحسنة والسيئة لا تستويان في الجزاء وحسن العقابة والدفع بالتي هي أحسن لمقابلة الإساءة بالإحسان، أي ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقاً أو بأحسن ما يمكن دفعها من الحسنات (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أي إذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشقيق تطبيقاً لقوله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) المؤمنون: ٩٦ فهناك أمر بالصفح ومكارم الأخلاق وهي الصفح عن السيئة والإحسان في مقابلتها وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل^(٢٤). وهذا يدل على أن الانتحاء نحو التسامح والعفو يحصد المكتسبات ويوصل للهدف أسرع ويقطع من فرص الأخطاء والسقطات والخسائر.

أما التسامح في السيرة النبوية الشريفة، فهو تطبيق لآيات القرآن الكريم وبيان لأحكامها، فلا نجد في السنة أمراً إلا والقرآن دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية^(٢٥). فالرسول الأكرم نجده قد وظف هذا المبدأ الإسلامي في أروع صورته وبمختلف أشكاله وفي كافة مجالات حياته الاجتماعية سواء بالدعوة إلى الله أو في سلوكياته مع أصحابه، وكذلك تعامله مع أعدائه عندما يظفروه الله بهم، فكان مثلاً رائعاً ونموذجاً صادقاً للإرادة الإلهية على الأرض والتي وصفته بأجمل وصف وذلك في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم: ٤ .

فالحلم والإحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على ما يكره، فهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه ومثال ذلك في قوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الأعراف: ١٩٩، وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو لا يزداد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع كثرة الأذى إلا صبراً وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً، فقد روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لما كسرت رباعيته وشج وجهه في يوم احد شق ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا لو دعوت عليهم فقال: أني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون^(٢٦). ويروي البعض قصته مع (غورث بن الحارث)، وذلك حينما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نائماً في وقت الضحى نوم القيلولة في بعض غزواته في ظل شجرة، وحده بعيداً عن أصحابه وكانوا هم أيضاً قائلين، فجاءه غورث بن الحارث ووقف على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مصلاً سيفه رافعاً يده على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصاح: من يمنعك مني يا أبا القاسم؟ فقال النبي: الله، فسقط السيف من يده، فبدر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السيف وأخذه ورفع على غورث قائلاً له: يا غورث من يمنعك مني الآن؟ فقال: عفوك، وكن خير أخذ، فتركه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعفا عنه، فجاء إلى قومه وقال لهم (والله جنتكم من عند خير الناس)^(٢٧) فسياسة العفو العظيم التي قام بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هي إلا دليل واضح عن حقيقة التسامح لديه.

وفي مواقف أخرى جاءت صفة التسامح متوافقة مع رحمته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقومه ، وروي أن لما كذب المشركون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأذوه ، وداسوا على عنقه، وقاطعوه ، وقتلوا أصحابه ، وذبوه وشردوه ، وتبعوه تحت كل حجر ومدر، وفعلوا ما فعلوا به طوال السنين الصعاب ، حينذاك نزل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) جبرائيل (عنه السلام) من عند الله تعالى قائلاً: ((إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك، وقد أمر الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)) فناده (صلى الله عليه وآله وسلم) ملك الجبال وسلم عليه وقال: ((مرني بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين)) فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً))^(٢٨)

ومن تسامح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو صبره على من مثل بعمه حمزة (عليه السلام) ، فالمشركين يوم احد مثلوا بأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين استشهدوا وفيهم حمزة (عليه السلام) فقال المسلمون : أما والله لئن أدلنا الله عليهم لمتنن بأخبارهم فذلك قوله تعالى (وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِّبْتُمْ بِهِ) يعني الأموات ، ويروى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما وقف الإمام علي (عليه السلام) على عمه حمزة (عليه السلام) ورأى ما فعل به بكى ثم قال : ما وقفت موقفا قط أغبط عليّ من هذا المكان لئن أمكنني الله من قريش لأمتلن سبعين رجلاً منهم فنزل جبرائيل فقال (وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِّبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) النحل: ١٢٦ واصبر فقال رسول الله بل اصبر^(٢٩).

ولعل من أروع صور تسامح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك حينما فتح مكة وعفا عن كل الأعداء ومجرمي الحروب التي شنوها عليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووقف قائماً على باب الكعبة فقال: ((لا اله إلا الله وحده ، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مال ومأثرة ودم يدعى تحت قدمي هاتين إلا سدنة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما ... ألا لبس جيران النبي كنتم ، لقد كذبتكم وطردتم وأخرجتم وأذيتهم ، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني! اذهبوا فأنتم الطلقاء)) فخرج القوم وكانوا نشروا من القبور ودخلوا في الإسلام ، وقد كان الله سبحانه وتعالى أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فينا ، فلذلك سمي أهل مكة بالطفقاء، وحينما دخل المسلمون مكة نادى سعد بن عبادة احد أمري اللواء: يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تسبى الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، ولكن نادى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((يا أبا سفيان، بل اليوم يوم الرحمة، اليوم أعز الله قريشاً)) وأرسل إلى سعد فعزله عن اللواء^(٣٠). وبذلك تجلت سجية من سجايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الفاضلة وهي العفو عند المقدرة ومقابلة الإساءة بالإحسان فسيرته كانت امتداداً لذلك المعين الصافي لسير الأنبياء والرسل الكرام (صلى الله عليه وآله وسلم) والذين خولهم الله تعالى بحمل أمانة الدعوة الحقّة إلى بني البشر لإسعادهم والأخذ بأيديهم لما فيه من خير وصلاح، وبذلك كان مبدأ التسامح للذين سبقوه من الأنبياء دائم الحضور في تصرفاتهم وسلوكياتهم في الحياة . فجد في سيرة نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الدعوة إلى التسامح جاءت ملخصة بالآيات: (وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) سورة الأعراف: ٦٥ – ٦٨ فخطابه الهادي وسلوكه الناصح أملاً في اهتداء قومه دون استخدام قوة الإرغام ينبئ عن شفافية النبي ورسالته فقوله: (يا قَوْمِ) كان فيه عطفًا وحرصاً على إجتاهم^(٣١).

كذلك الحال مع نبي الله يوسف (عليه السلام) الذي ضرب مثلاً على في التسامح ، فقد عاش في بيئة مغايرة لمعتقداته وجذوره القبلية، ألا أنه اتخذ قرار بأن شعب مصر بحاجه إليه واستطاع (عليه السلام) من إنقاذهم من المجاعة ، فلم يسمح بنزعات نفسه بالسيطرة على سلوكه، وكذلك أبدى السماحة لإخوته الذين ألقوه في البئر، لان هناك غاية اكبر من الانتقام وهدف أسمى من وهو إنقاذ عائلته من الجوع في ارض فلسطين، فتجاهل كل ما لحقه من اضطهاد وظلم وقيد نفسه ونزعاته ليصبح التسامح دلالة موقفه مع إخوته^(٣٢).

من كل ما تقدم يمكن القول إن التسامح هو مبدأ الهي يقوم على أساسه بناء المجتمع الإنساني الصحيح وذلك من كونه يختزل كل الصفات الحميدة ، الداعية لعملية البناء هذه بل إن على أسس تحققها سيتحقق الأمن والاستقرار والتواصل الاجتماعي والعيش المشترك والوحدة بين الأفراد، فالعودة إلى الجذور التاريخية لسيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) نتبيننا باستيعاب بما يمثل التسامح من انه ثقافة إسلامية ودعوة ربانية ذات أصل عقدي ومعرفي راسخ تعمل لأجل تثبيت وتنمية روح السلم والسلام في المجتمع الواحد.

المبحث الثالث: دور ثقافة التسامح في تنمية التعايش السلمي.

إن التسامح كتقافة هي صفة ملازمة لطبيعة وكيونة الإنسان، وعليه فهو محبوب عليها ولم بجميع جوانبها، لذلك ينبغي أن تكون لهذه الممارسة حضور طالما إن واقعه الاجتماعي يفرض عليه أجدديات الوقوع في الخطأ المتكرر فالقابلية البشرية تؤكد أن الإنسان بسلكياته وأنشطته في ميدان الحياة الاجتماعية يكون على تماس مباشر مع حالتي الصواب والخطأ في علاقاته مع أفراد المجتمع، لذلك عليه أن يكون مستعداً للاعتراف بخطأه أمام المجموع واكتشافه أن يطمح دائماً للوصول إلى اقرب نقطة من الحقيقة والصدق، طالما أن لا وجود للثنتين معا بشكل دائم في حركة وتصرف الإنسان.

إن الاسترشاد بالتسامح كمبدأ إسلامي واجب التطبيق والقبول به على وفق ما جاءت به الآيات القرآنية وأحاديث السيرة النبوية، سيجعل الطريق سالكا أمام تحقيق الوحدة الإسلامية طالما أن الفرد في المجتمع يؤمن بثقافة الاختلاف واحترام الذات بالنسبة للآخر، فعقل الفرد يلزمه بالميل إلى المنهج الصحيح والطريق السوي طالما أن طبيعة العقل تتوافق مع كل ما هو حق،

دور التسامح في تعزيز ثقافة التعايش السلمي دراسة تحليلية د. أنس عباس غزوان

وهذا لا يتحقق إلا بالتمسك بالخلق الرفيع، ونبذ كل ما هو بعيد عن الفلسفة الإنسانية التي رسمها الخالق وذلك من قبيل الارتكان إلى ظواهر العنف والاحتراب وإشاعة ثقافة الموت وتغيب الآخر.

إن الآيات الداعية للتسامح تمثل الفكرة السائدة في القرآن الكريم ، فأنا نجد مثلا ذكر احترام الديانات الأخرى وحرية المعتقدات واحترام جميع الآراء في ست وثلاثين سورة، وعليه يمثل التسامح حينئذ الفكرة الأساسية في القرآن الكريم ، وبما أن الدين الإسلامي وما جاء به من تسامح فإنه قد اعترف بكافة الديانات الأخرى، وعليه فهو مضطر في دعوة المسلمين إلى التحلي بالتسامح إلى أقصى حد ممكن^(٣٣) ، هذا الأمر دون أدنى شك سيؤدي إلى تحقيق التكامل في المجتمع وذلك من خلال الوحدة بين أفرادها، وقد وضعت الرسالة الإسلامية منهجا رساليا متكاملًا في مقام تحقيق الوحدة بين أبناء المجتمع الإسلامي يأتي في مقدمتها اعتماد حسن الظن بالآخرين في العلاقات الاجتماعية إلى جانب تعبئة وإثارة الشعور بالمسؤولية المشتركة في الحياة الاجتماعية، وروح ورعاية المصالح والأضرار الجماعية في مقابل انكفاء الإنسان على مشاعر (الأنا) والعزلة والانفراد واللامبالاة، بالإضافة إلى الإحساس بالآخرين والتضحية بالأمر الصغير لمصلحة وحدة المجتمع وقوتها^(٣٤). أي بمعنى الالتزام بالمصلحة العامة عند التقاطع بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع لأنه وحيثما تكون المصلحة العامة يكون شرع الله ، وعلى وفق ذلك فإن حرية الفرد وحقه تقف عند حدود وحق فرد آخر وعلى أساس القاعدة الإسلامية (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) . وعليه فإن الإسلام يكون قد أعطى مساحة واسعة لحرية التفكير والاعتقاد والتعبير، فالإنسان حر في اختيار عقيدته ودينه (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) الكافرون: ٦ وقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) البقرة: ٢٥٦، كما أن القرآن الكريم إقر للناس جميعا على عقائدهم التي اختاروها من خلال تفكيرهم (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة البقرة : ٦٢ كما وضمن الإسلام حقوق غير المسلمين وحقوق الأقليات على أسس من العدالة والتسامح والاحترام التام، فغير المسلمين لهم الحق في الأمن والحفاظ على أموالهم والدولة مسؤولة عن الدفاع عنهم ولهم الحق في ممارسة طقوسهم ومعتقداتهم وأعمالهم التي يرغبون فيها ويستخدمون الموارد العامة في البلاد أسوة بغيرهم^(٣٥). جدير بالذكر أن الديانة الإسلامية في بيانها لهذه الحقوق إنما تقف على قدم المساواة مع الديانات الأخرى في مسألة ضمانها وتحقيقها، فالمسيحية تقول في أنجيلها : لقد قيل لكم من قبل أن السن بالسن والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم : لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه خدك الأيسر ومن اخذ رداك فاعطه أزارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين. وقد جاء في الأنجيل كذلك: من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان. عاشروا الناس معاشرة أن عشتم حنوا إليكم وان متم بكوا عليكم، أما عن التسامح في الديانة اليهودية فقد جاء التأكيد في جملة وصايا جاءت بها: كل ما تكره ان يفعله غيرك بك فياك أن تفعله أنت بغيرك. وكذلك جاءت الدعوة إلى: اغتسلوا وتطهروا وأزيلوا شر أفكاركم (...). وكفوا عن الإساءة تعلموا الإحسان والتمسوا الإنصاف^(٣٦).

وهذه إشارة واضحة إلى كل الأديان تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام بين بني البشر وهي تشترك في أن جميعها تبدأ دعوتها إلى توحيد الله تعالى وتحرير العقول والقلوب من الأوهام والزيغ والضلال، لتحقيق إنسانية الإنسان ، ليتبوأ مكانته الرفيعة ويصبح أهلا للخلافة في الأرض فهي جميعا تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام بين بني البشر وعليه يعد الإنسان هو محور جميع الأديان والشرائع السماوية بل نه غايتها فهي جاءت لتأمين مصالح الناس بجلب النفع لهم ودفع المضار عنهم، وبما يحقق السعادة لهم في الدنيا والآخرة^(٣٧) وبمجرد أن يعترف المشرع الإسلامي بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية من حق الحياة وحرية الرأي والعبادة والتفكير والحقوق المدنية والسياسية(الفردية) وكذا الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية(الجماعية) ويقطع النظر عن مذهبه ودينه أو طائفته أو معتقده ستكون هناك الفرصة كبيرة ومتاحة لأجل تحقق مبدأ التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد، فمن التسامح مع الآخرين في طريقة تصرفه وسلوكه مع خالقه أو مع الأفراد وحسب الضوابط القانونية وعلى وفق ما تفرضه صيغة المواطنة (الشرعية – القانونية) سيكون الطريق معبدا وسالكا لانجاز الوحدة الإسلامية.

بعبارة أخرى أن المجتمع الإنساني لن يتحقق على النحو المنشود إلا إذا سار التسامح بين أفرادها بمعنى أن يحب كل فرد فيه للآخرين ما يحب لنفسه، وعليه ينبغي إلا يكون الاختلاف بين الناس في أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم منطلقا أو مبررا للنزاع والانشقاق بين الأمم والشعوب، بل الأحرى أن يكون هذا الاختلاف والتنوع دافعا للتعارف والتعاون بين الناس من أجل تحقيق ما يصيبون إليه من تبادل المنافع وتعاون على تحصيل المعاش وإثراء للحياة والنهوض بها. ومن هنا يقول القرآن الكريم : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سورة الحجرات: ١٦. والتعارف هو الخطوة الأولى نحو التآلف والتعاون في جميع المجالات.

وحتى يمكن الوصول إلى هذا الهدف كان لا بد من إيجاد وسيلة للتفاهم والتبادل والمشاعر والأفكار بين الناس . فكانت اللغة التي يتخاطب بها الناس ويعبرون بها عن أغراضهم ومشاعرهم وأفكارهم. ويعد التفاهم عن طريق عن طريق اللغة أسلوبا راقيا للتواصل بين البشر وتبادل الذي يؤدي إلى تبادل المنافع فيما بينهما^(٣٨).

فالإسلام دين يسعى بمبادئه وتعاليمه إلى تربيته إبتاعه على التسامح إزاء كل الأديان والثقافات، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الناس جميعا خلفاء في الأرض التي نعيش فوقها وجعلهم شركاء في المسؤولية عنها مسئولين عن عمارتها ماديا ومعنويا. وكما يقول القرآن الكريم (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) سورة هود: ٦٢ أي طلب منكم عمارتها وصنع الحضارة فيها، وهذا الأخير لا يكون إلا من خلال وجود مجتمع إيماني يمارس كل فرد فيه حرياته ومعتقداته بالطريق التي يؤمن بها ، هذا الأمر سيخلق حالة من الانسجام والتواصل الاجتماعي المشترك مابين الأفراد لمواجهة كل التحديات والمشكلات التي تعترض سبيل تقدم مجتمعهم .

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول إن لمبدأ قبول الآخر في المجتمع جملة من الصفات والتي يمكن أن نلاحظها بقيام الأفراد بتوظيفه بالشكل العملي الصحيح :

- ١- إن التسامح والتعاطي بقبول الآخر منظومة خلقية واسعة ونظام سلوكي مقنن قوامه يتحدد بجمله من الصفات الحميدة والخصال الإسلامية الثابتة والمتمثلة بالرفق والإيثار والسلم واللاعنف والقول الحسن والأمانة وغير ذلك جاءت بها الشريعة الإسلامية بقصد تنظيم حياة الأفراد في المجتمع.
 - ٢- انه يفرضي إلى تثبيت وتركيز حالة الاحترام المتبادل بين أبناء المجتمع الواحد، وذلك على الرغم من وجود التمايز والاختلاف في مجال القيم والعادات والتقاليد والممارسات الدينية، ألا أن ذلك في الحقيقة سيكون له مفعول السحر لزيادة التفاعل ما بين الفرد والفرد الآخر، طالما أنه لهذه الممارسات حضور سواء في الشريعة المقدسة أو تقليد جبل البعض على ممارسته والآخر على احترامه، وعليه لا يكون ذلك الاختلاف إلا سرا وسببا لبقاء وجود المجتمع.
 - ٣- إن الالتزام بثقافة التسامح سيؤدي إلى المساواة في الحقوق والواجبات بالنسبة إلى الأفراد وهذا الأمر يعد بحد ذاته هدفا تسعى إلى تحقيقه الشرائع السماوية والوضعية على حد سواء، فالفرد سيكون لديه شعور بأنه ينتمي للمجتمع الذي يعيش فيه وعلى أساس مبدأ المواطنة والتي تلزمه بتأدية الواجبات التي عليه والتمتع بالحقوق التي هي له.
 - ٤- إن تطبيق أسس وقواعد التسامح سيدفع إلى تعزيز ثقافة مدنية المجتمع، أي تركيز ثقافة المجتمع المدني والذي يكون هدفه تحقيق المصلحة العامة للمجتمع كله، على حساب المصالح الفئوية الضيقة وذلك من خلال مجموعة أفراد ينظم عملهم ضمن هيكل وبناء تنظيمي محدد يتعاونون من خلاله على تحقيق المصالح العليا لمجتمعهم وفي كافة المجالات ، الأمر الذي سيدفع بالمجموع إلى زيادة المطالبة بالحقوق الجماعية على حساب الحقوق المدنية والسياسية، كما وأنه سيبحث الروح فيهم لأجل المطالبة بالتعددية والديمقراطية وحرية المعتقد وقبول الآخر وغير ذلك.
- والجددير بالذكر أن إبراز أهمية التسامح في المساحة الإسلامية الواسعة، وبيان قيمة تأثيره على وحدة المجتمع الإنساني، يبقى تحت تأثير رحمة وجود أفراد يتضامنون معا لأجل الأخذ بهذه الصفة الحميدة والسعي الحثيث لتجديدها في مجتمعهم، ويبدو أن المهمة الكبرى تبقى ملقاة على عاتق رجال الدين، باعتبارهم ذوي اختصاص في علوم الشريعة ، وهم الأكثر فهما واستيعابا لها، وعليهم المسؤولية الكبرى في تطوير وإنماء وتكامل الجماعة الصالحة، والذين يمثلون الفكر الإسلامي النزيه غير المتأثر بالتيارات الفكرية الأجنبية أو النابع من إichاءات الأنا والهوى والانفصال عن تعاليم الشريعة .
- فقد أصبح من الواجب على علماء الدين المخلصين أن يتنبهوا إلى مكائد الخلافات المذهبية ويسدوا الطريق عليها ويعملوا على لم شمل الأمة وجمع صفوفها وتوجيه أسلحتها إلى أعدائها ويشدوا من أزر الإخوة والدعوة إلى الوحدة الإسلامية^(٣٩).
- إن احتلال علماء الدين لموقعهم في الأمة، مشروط بوعيهم وصلاحتهم بتصديهم وحضورهم السياسي، وفعاليتهم في الميادين الفكرية والاجتماعية المتعددة، وتلك فريضة في عاتق العلماء وليست أمرا متروكا لاختيارهم وقد جاءت النصوص القرآنية والنبوية تؤكد أن العالم مسؤول عن هداية الأمة وتوجيهها وحمل همومها ومقارعة الظالمين من اجل نجاتها، وعلى أساس ذلك فالأمة مسؤولة هي الأخرى عن رقابة هؤلاء العلماء والتعرف على مدى صدقهم وإخلاصهم للشريعة بالمقاييس والمواصفات الشرعية للعالم الصالح والشريعة الإسلامية أضافت للعلم مقياسين آخرين: احدهما في السلوك الشخصي العام، وثانيهما : التصدي والعمل لنصرة الدين ونشر أحكامه والدفع عن أتباعه^(٤٠).
- وعليه أن أثر علماء في قيادة الأمة الإسلامية إلى جادة الأمان تبقى مسؤولية شرعية وقانونية وسياسية واجتماعية كونهم الحاملين الأمانة لتعاليم وقواعد الدين الحنيف والذي يدعو إلى ضرورة تحقق الوحدة بين كل فصائل المجتمع، ويبدو أن قيامهم بهذه المهمة يتطلب جملة من المسؤوليات التي تقع عاتقهم والتي تتمثل بـ:
- أ- أن يشغل علماء الدين وعلى مختلف انتماءاتهم وتوجهاتهم بتنمية ثقافة الحوار فيما بينهم، باعتباره اسلم وأفضل الطرق في الوصول للحقيقة، إذ أنه يكشف نقاط الاختلاف والتوافق ويوفر أرضية التسامح لبناء جسور حول مختلف القضايا المتفق عليها، وتشذب المغالطات الفكرية التي تحيط بالأطراف المتنازعة^(٤١). ويجب أن يكون الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحقيقة والى اكبر قدر من تطابق وجهات النظر بعيدا عن الخصومة أو التعصب وبطريق يعتمد على العلم والعقل^(٤٢).
 - ب- على عاتق علماء الدين تقع مسؤولية تكريس مبدأ الشورى وتأسيس مشروعيتها فيما بينهم لأجل حل المشاكل العالقة في مجتمعاتنا سواء الداخلية منها والخارجية والاتفاق على خطاب إسلامي موحد يستند أساسا إلى تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء.
 - ت- يجب على علماء الدين اتخاذ التدابير اللازمة بقصد تثبيت الأسس الإسلامية السليمة لبيان حقيقة الإخوة الدينية بين الفرد وأخيه الآخر وذلك باستغلال المناسبات والأعياد الدينية لتوظيف ذلك المشروع الإصلاحية، فهذه الأمور ستفرضي إلى دون أدنى شك إلى تخريج عنصر بشري واع ومدرك للآخر في أن له الحق في الحياة وفي التفكير والتعبير والرأي والعبادة وما إلى غير ذلك، وتكون النتيجة في ذلك وجود مجتمع متحضر وفاعل يفكر بالتنمية وضرورة الوصول إليها ويستهنج في الوقت عينه حالات الصراع والنزاع وما إلى غير ذلك.
 - ث- على عاتق علماء الدين أكثر من غيرهم تقع مسؤولية تعليم الأفراد في المجتمع بثقافة وجود الاختلاف ما بين الناس في المحيط الذي يعيشون فيه، وحثمية بقاءه كسنة إلهية وظاهرة طبيعية في الحياة الإنسانية، وعليه لا بد أن يكون هناك اختلاف فيما بينهم في التصورات والأفكار والمعتقدات والعبادات والمعاملات، على أن لا يكون ذلك الأمر مدعاة إلى

دور التسامح في تعزيز ثقافة التعايش السلمي دراسة تحليلية د. أنس عباس غزوان

التناحر والتحارب، فعالم الدين ملزم بإقناع أتباعه للعمل في منظومة مجتمعية تؤمن بأجمعها بالطاعة للخالق جل وعلا.

ج- على علماء الدين تقع مسؤولية بث الروح الوطنية وعلى وفق ما يتضمنه مبدأ (المواطنة) من أن هناك حقوقاً للأفراد يجب أن يتمتعون بها وفي كافة مجالات حياتهم الاجتماعية سواء ما كان منها فردياً أو جماعياً وأن يلتزموا في الوقت نفسه بتأدية الواجبات التي فرضها عليهم الشرع المقدس والقانون معاً.

لا بد من التأكيد على أن مسألة إشاعة روح التسامح لا تبقى من مسؤولية رجال الدين فحسب، بل لا بد على فرد في المجتمع من أن يقوم بترويض هذا المبدأ في سلوكياته وتصرفاته تجاه الآخرين، فتكليف الفرد سيكولوجياً مع هذا المفهوم سيجعل منه دون أدنى شك ثقافة كامنة في ضمير الفرد معنوياً وظاهرة في علاقاته مع الآخرين مادياً ومن ثم يتحول التسامح إلى واقعة اجتماعية لها أسس وقواعد ومبادئ لا يسمح بتجاوزها والتعدي عليها، فيتحول بذلك إلى ثقافة فرعية تتحرك بداخلها كل مقومات الفضيلة وفي كافة مناحي الحياة الاجتماعية فيصبح بذلك تقليداً و عرفاً له قيمة حضارية تسهم في النهاية بتنمية وتجديد وتحديث روح التعايش الإيجابي بين أبناء المجتمع الواحد وبما يؤدي في النهاية إلى تحقيق الوحدة فيما بينهم.

الخاتمة.

تبين لنا بالبحث أن التسامح صفة مقدسة دعت إليها الشريعة الإسلامية وذلك من خلال آيات قرآنية عديدة، وتناولتها السيرة المشرفة للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحاديثه الشريفة مع أصحابه وسلوكياته وتصرفاته مع الآخرين وحتى مع ألد أعدائه، مما كان لها الأثر الكبير في كسب الكثير منهم ودخولهم في الدين الإسلامي الأمر الذي انعكس بشكل إيجابي على بناء المجتمع الجديد وفي تحقيق الوحدة بين أبنائه فهذه الصفة وإن كانت لم ترد في القرآن الكريم بشكل مباشر، إلا أن أثرها الكبير اقترن بارتباطها بصفات وخصال ومبادئ حملت بين طياتها الأثر الأكبر لوجودها وعظيم أثرها وذلك من قبيل اللين والصفح واحترام الآخرين والعفو وكظم الغيظ والحث على عدم المثلة والتجاوز في مسائل الانتقام والى غير ذلك، وهذا يؤدي بنا إلى القول بأن التسامح ما هو عنوان تدرب بداخله كل الصفات الحميدة لتعامل الفرد مع أخيه الفرد الآخر والذي يختلف معه في الدين أو المذهب وما إلى غير ذلك، لذلك جاءت الدعوات القرآنية إلى ضرورة تجذير هذا المفهوم في المجتمع وذلك بعده ثقافة إسلامية أصيلة تسهم في بث روح الوحدة بين أفراد الأمة سينعكس معه في ضمان وجود مبدأ يحافظ على هذه الوحدة وهو ما يعرف بالتعايش السلمي السمع ما بين مكوناته، لذلك فإن الاسترشاد بمبادئ شريعتنا السمحاء يوجب معه نقل التعاليم والوصايا الإسلامية والمنجزات التي حققها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه المنتجبين في حياتهم العملية والتي مثلت أنموذجاً رائعاً لقيم التساهل والوسطية والاعتدال والتسامح إلى الأجيال اللاحقة عبر قنوات التنشئة الاجتماعية الموجودة في المجتمع من الأسرة والمدرسة وجماعة الأصدقاء والى الجامعة والمسجد وما إلى غير ذلك من المؤسسات لأجل وضعها في قالب اجتماعي أصيل يوظفه الفرد في تعامله مع الغير ضمن محيطه على أنه قيم وعادات وتقاليذ ووسائل اتصال ومعارف ملزمة له وواجبة التطبيق عليه ولا يسعه في الوقت عينه مخالفتها لقوة الزواجر والعقوبات التي يمكن أن تترتب على ذلك وهذا ما يعنيه مفهوم أسلمة ثقافة التسامح.

الهوامش.

(١) ابن منظور، لسان العرب مادة سمح، المجلد الثاني، ط٤، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص٢٢٤.
(٢) محمد عمارة، سماحة الإسلام، مجلة التسامح، العدد١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠٠٣، ص٢١.

(٣) محمد احمد عواد، منطلقات التسامح عند الفلاسفة المسلمين، مجلة التسامح، العدد١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠٠٣، ص٩٤.

(٤) داود سلمان الكعبي، التسامح في القرآن الكريم، الحوار المتمدن، ج٣، العدد ٢٦٦٤، www.ahwar.com

(٥) حسن عبد الجليل العبادلة، التسامح في القرآن الكريم، ورقة مقدمة إلى مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية كلية الشريعة، جامعة دمشق، ١١-١٢ تموز، ٢٠٠٩، ص٧.

(٦) محمد احمد عواد، مصدر سابق، ص٩٥.

(٧) داود سلمان الكعبي، التسامح في القرآن الكريم، الحوار المتمدن، ج٢، العدد ٢٦٦٣، www.ahwar.com.

(٨) صالح الحسن، ألف باء اللاعنفة، ط١، رؤية إسلامية أولية في ثقافة التسامح، مكتبة نرجس، دب، ص١٢٧.

(٩) صالح الحسن، مصدر سابق، ص١٧٩.

(١٠) محمد باقر الحكيم، المنهاج الثقافي والسياسي والاجتماعي، ط٢، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الاشرف، ٢٠٠٧، ص٣٩٨ - ٣٩٧.

(١١) موقع الالوكة الاليكتروني: التسامح والتعايش بين البشر: www.alukah.net/

(١٢) عقيل يوسف عيدان، التسامح الديني في الإسلام، www.annabaa.org.

(١٣) صبري محمد موسى، محمد فايز كامل، تفسير أساس البيان، ط١، دار الخير للطباعة، دمشق، ٢٠٠٣، ص٢٨١.

قيس سالم المعاينة، ضوابط الحوار في الفكري الإسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد١، جامعة أهل البيت، عمان، ٢٠٠٧، ص١٥٢.

(١٥) حسن عبد الجليل العبادلة، مصدر سابق، ص٢٤.

(١٦) نفس المصدر، ص٢٥.

(١٧) أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ط٣٠، مؤسسة إحياء تراث الإمام الخوئي، قم المقدسة، ٢٠٠٣، ص٣٠٧.

(١٨) طالب الحسن مصدر سابق، ص٣٤.

- (١٩) صبري محمد موسى، مصدر سابق، ص ٤٠٢.
- (٢٠) كمال مصطفى شاكر، مختصر تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، ط١، مطبعة كيميا، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ٥١٤٢٥، ص ٤٦٤.
- (٢١) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، الجزء الثالث، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٩.
- (٢٢) كمال مصطفى شاكر، مصدر سابق، ص ٣٢٨.
- (٢٣) كاظم الحائري، أصول الدين، ط١، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ٥١٤٢٤، ص ٢٣١.
- (٢٤) الفيض الكاشاني، مصدر سابق، ص ٢٧١.
- (٢٥) محمود أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٣.
- (٣٦) عباس القمي، كحل البصر في سيرة سيد البشر، ط١، دار الصفاة، بيروت، ١٩٩٣، ص ٨٧.
- (٢٧) صادق الشيرازي، السياسة من واقع الإسلام، ط٤، مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٥١-٥٢.
- (٢٨) نفس المصدر، ص ٧٨.
- (٢٩) الفيض الكاشاني، مصدر سابق، ص ٣٣٤-٣٣٥.
- (٣٠) كاظم الحائري، مصدر سابق، ص ٢٣٢-٢٣٣.
- (٣١) طالب الحسن، مصدر سابق، ص ٤٧.
- (٣٢) آمال كاشف الغطاء، الخطاب الإلهي والتسامح الديني، www.alnoor.se
- (٣٣) ونيس الطاهر عامر، العفو والصفح في القرآن الكريم، www.basaernews.com
- (٣٤) محمد باقر الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ط٢، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، ٢٠٠٦، ص ٤٧٧-٤٨٧.
- (٣٥) رياض عزيز هادي، حقوق الإنسان: تطورهما- مضامينها- حمايتها، ط١، مكان الطبع بلا، بغداد، ٢٠٠٥، ص ١٢.
- (٣٦) عقيل يوسف عيدان، مصدر سابق.
- (٣٧) ماهر صالح الجبوري وآخرون، حقوق الإنسان والطفل والديمقراطية، ط١، بلا مكان الطبع، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٩-٢٧.
- (٣٨) محمود حمدي زقزوق، التسامح في الإسلام، مجلة التسامح، العدد ١، وزارة الأوقاف الشؤون الدينية، مسقط، ٢٠٠٣، ص ١٥.
- (٣٩) توفيق يوسف الواعي، الحوار الإسلامي: أصوله ومفاهيمه ووسائله، ط١، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ٢٠٠٨، ص ١٥٠.
- (٤٠) محمد باقر الحكيم، المنهاج الثقافي والسياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص ٢٧٤-٢٧٥.
- (٤١) طالب الحسن، مصدر سابق، ص ١٥٥.
- (٤٢) بسام عجبك، الحوار الإسلامي المسيحي، ط٢، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٠.

المصادر. القران الكريم. أولا : الكتب.

١. ابن منظور، لسان العرب. ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، ط٤، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
٢. أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ط٣٠، مؤسسة إحياء تراث الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٣.
٣. الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، الجزء الثالث، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨.
٤. بسام عجبك، الحوار الإسلامي المسيحي، ط٢، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨.
٥. توفيق يوسف الواعي، الحوار الإسلامي: أصوله ومفاهيمه ووسائله، ط١، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ٢٠٠٨.
٦. رياض عزيز هادي، حقوق الإنسان: تطورهما- مضامينها- حمايتها، ط١، مكان الطبع بلا، بغداد، ٢٠٠٥.
٧. صالح الحسن، ألف باء اللاعنف: رؤية إسلامية أولية في ثقافة التسامح، مكان الطبع بلا، بلد الطبع بلا.
٨. صادق الشيرازي، السياسة من واقع الإسلام، ط٤، مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.
٩. صبري محمد موسى، محمد فايز كامل، تفسير أساس البيان، ط١، دار الخير للطباعة، دمشق، ٢٠٠٣.
١٠. عباس القمي، كحل البصر في سيرة سيد البشر، ط١، دار الصفاة، بيروت، ١٩٩٣.
١١. كاظم الحائري، أصول الدين، ط١، مطبعة شريعت، قم، ٥١٤٢٤.
١٢. كمال مصطفى شاكر، مختصر تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، ط١، مطبعة كيميا، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ٥١٤٢٥.
١٣. ماهر صالح الجبوري وآخرون، حقوق الإنسان والطفل والديمقراطية، ط١، مكان الطبع بلا، بغداد، ٢٠٠٩.
١٤. محمد باقر الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ط٢، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، ٢٠٠٦.

دور التسامح في تعزيز ثقافة التعايش السلمي دراسة تحليلية
د. أنس عباس غزوان

١٥. محمد باقر الحكيم، المنهاج الثقافي والسياسي والاجتماعي، ط٢، مطبعة العنزة الطاهرة، النجف الأشرف، ٢٠٠٧.
١٦. محمود أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.

ثانياً : المجلات.

١. فيس سالم المعاينة، ضوابط الحوار في الفكري الإسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد ١، جامعة أهل البيت، عمان، ٢٠٠٧.
٢. محمد عمارة، سماحة الإسلام، مجلة التسامح، العدد ١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، ٢٠٠٣.

ثالثاً : المؤتمرات.

١. حسن عبد الجليل العبادلة، التسامح في القرآن الكريم، ورقة مقدمة الى مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية كلية الشريعة، جامعة دمشق، ١١-١٢ تموز، ٢٠٠٩.

رابعاً : المواقع الالكترونية.

١. الالوكة الالكترونية: التسامح والتعايش بين البشر: www.alulkah.net
٢. آمال كاشف الغطاء، الخطاب الإلهي والتسامح الديني، www.alnoor.se
٣. داود سلمان الكعبي، التسامح في القرآن الكريم، الحوار المتمدن، العدد ٢٦٦٣، www.ahwar.com
٤. داود سلمان الكعبي، التسامح في القرآن الكريم، الحوار المتمدن، العدد ٢٦٦٤، www.ahwar.com
٥. عقيل يوسف عيدان، التسامح الديني في الإسلام، www.annabaa.org
٦. ونيس الطاهر عامر، العفو والصفح في القرآن الكريم، www.basaernews.com